

فرانكوفوني في مواجهة إعلام جزائري مهلهل

عمار بلحيمر

وزير ينطق باسم سلطة غامضة



● بلحيمر يمتلك حضوراً إعلامياً طاعياً. وقد برز ذلك من خلال دوره كوسيط فعال في التواصل مع الرأي العام الغاضب، فهو يعرف خبايا التأثير، ومتى يمنح المعلومة ويحفظها ويسبغ عليها قبولاً مؤقتاً فضفاضاً.

النسيان وقبوره؛ بعض أصدقائه من زمن النضال اليساري الذي لم يعد يقع أحداً، وهم مستشارون بدوا للوهلة الأولى مفاجأة للوسط الإعلامي.

قام بلحيمر بزيارة خاطفة لدار الصحافة والتقى على عجل ببعض مدراء الصحف، ابتسم لهذا، وحيثاً ذلك، ووعده هذا. فالصحافة التي وقف عليها ليست هي صحافة التسعينات التي خبر روحها وشقاها وجوعها للحرية والنضج والاحترافية، وهي لم تكن لها في ذلك العهد الإمكانات والوسائل. لم تكن هناك وسائل، ولا إنترنت، ولا فيسبوك، ولا غيرها من الوسائل. كان القلم يحفر في جسد الحقيقة والمعلومة، يحفر فيها تحت أزيز الرصاص ورائحة الدم ورعب الموت.



نقطة الاختلاف الوحيدة التي يتميز بها بلحيمر عن غيره هي أنه ذو تكوين أكاديمي معمق في الحقوق والآداب، وكاتب تخصص في ما نشر من كتب في الاقتصاد والقانون السياسي والاستثمار

طبعاً هو يدرك ما وصل إليه الإعلام في الجزائر من تدنٍّ وهبوط مسدود في كل شيء، هبوط خلق مشكلة أخلاقية، بالأساس، حيث لم يعد أي شيء يردع الصحف في الذهاب إلى أقصى حالات الفضائح والتشهير والتلاعب وإخفاء الحقائق وعدم فسح المجال للرأي المختلف أو الذي لا يصب في خانة السلطة ومن والأهـ، وغدت عناوين كبريات الجرائد تشيد بالجريمة والمسائير وقضايا النهب والسرقة والقتل وغيرها، ولا تكاد تستيقظ إلا على هذا النوع من الإعلام مكتوباً أو مسموماً أو مرئياً. وزاد من أخطاب الإعلام تحول العديد من مدراء الصحف إلى أثرياء ومبتزين ولاهئين وراء الإشهار ورجال المال، وفي خضم هذا غاب الصحافي البسيط، وأنهت قواه.

في تصريحاته القليلة التي أدلى بها بعد تنصيبه بنشر بقفزات ستغير الواقع الإعلامي، حتى أنه وعد بالانتقال بالإعلام من النظام التقاتلي إلى النظام الرقعي بحلول منتصف 2020، وهو حلم كبير وأسطوري وخرافي بالنظر إلى مشاكل أعمق تضرب القطاع تطرق إليها كل الذين مروا على المنبت الفخم للوزارة. عين الرئيس تبون الوزير محند السعيد مكلفاً بالإعلام في الرئاسة، وعين بلحيمر وزيراً للإعلام مكلفاً بالاتصال الحكومي. تعددت المناصب وانفرد الرئيس بلقاء إعلامي مع الصحافة غابت عنه الشخصيات، وتلك حكاية أخرى.

وهو حال الوزير المناضل اليساري على الطريقة الجزائرية. حيث حلل وجدال وانتفض وقال ما قال في الحراك وتوابعه. ظهر مرات ومرات بين ظهراني المتظاهرين ثم اختفى كشبح.

بقي الشارع منذ أن أفرده زواياهم ومنعطفاته على روح الغضب والتعمر والسخط على ما حل بالبلد من نهب وفساد تجر في صلب كل شيء بسبب ممارسات حكمته وسادته القابضين اليوم في السجون، انقسمت آراء الشارع بين من يرغب في أن يبقى عصياً وراдикаلياً حتى ينتهي من النظام وكل ما يرمز إليه، وبين الهادئين الذين دخلوه حاملين ثم خرجوا منه باقلاً الأضرار وأحسن المنافع كحال الوزير بلحيمر.

فضل الاصطاف مع الداعين للحوار والمشاورات عليها تنفذ الحال والأحوال، وهي مخرجات تمسك بها العسكر، ووضع لها خارطة طريق انتهت بتأسيس سلطة قبل إنها حرة في لقاء من تشاء ومع من تشاء، تكفل بلحيمر بشرح الممكن والمستحيل وما خفي واستتر من رغبات السلطة التي قال إنها ستكون بعيدة عن أي قرار حاسم سيخضع وفيه مصلحة الجميع، فهم البعض، واستنكر البعض الآخر وتمزّد. كان بلحيمر يدرك هو وجماعته أن هناك خلافاً وسخطاً ما في قلب الشارع وفي غيره من المواقع مما يتم الإعداد له من حلول يشترك فيها الطامع والطامح والمتردد والمنظر، ومع ذلك واصل المهمة بكل ثقة واعتزاز، وظل يوجد بتصريحات متفائلة بخصوص المهام المنوطة بهم، وهي ضمان الانفلات من التناز والرجاجية المغلقة بالعناد المكابر الذي يسري في جنبات الشارع. تكلم باللغتين العربية والفرنسية وكسر رأسه لإفهام من لم يفهم. سطر الخطوط ورسم الحدود وفي النهاية انتهت المهمة في الوقت المحدد وعلى أحسن ما يرام واستراحت ضمائرهم وانتخب الشعب الجزائري رئيساً للجزائر يدعى عبدالمجيد تبون.

وعود خرافية

لم يفاجأ العديد من المتابعين أن مهمة بلحيمر لم تنته بل جزمّت كل القراءات أنه سيكون وزيراً للإعلام لما أظهره من حضور طاع في كل أطوار الحوار كوسيط فعال في التواصل مع الرأي العام الغاضب عبر وسائل الإعلام، فهو يعرف خبايا التأثير، ومتى يمنح المعلومة ويحفظها ويسبغ عليها قبولاً مؤقتاً فضفاضاً سريعاً، ضف إلى ذلك أنه صديق وفي لكل الإعلاميين ومحترماً في وسطهم، وهو أمله في تصفية الجو التواصلية وتنقية الهواء الإعلامي، وإنصاف مظلوميههم خاصة أولئك الذين انقطعت عنهم منابع الإشهار لفترة طويلة مصدر القوت والعيال والحياة.

بمجرد أن طلعت قدماء أرض الوزارة وتعرّف على محيطها أحاط نفسه ببعض المستشارين الذين أخرجهم من ظلمات

الإرهاب في السماء والأرض وتوتر الصراعات والحروب والمناوشات بين موازين القوى والنفوذ داخل السلطة والنظام.

مهمات أولى برتبة وزير

استراح بلحيمر فترة طويلة في مؤسسة عمومية للإشهار كمدير للنشر، وهي مؤسسة كانت تهتم خاصة بتوزيع الإعلانات على الصحف والجرائد. وقد كانت إحدى أهم أذرع الجنرال توفيق السرية في التسلط وبسط النفوذ على وسائل الإعلام وكانت بمثابة اللعبة السوداء لشراء ذمم رؤساء الصحف ومواقفهم على مختلف توجهاتها، ولعب الكولونيل المعروف فوزي دوراً حاسماً في ذلك بما أنه كان المسؤول عن مركز الاتصال والبحث التابع لجهاز المخابرات آنذاك.

دانته له الرقاب وتحركت حين كان يتخلل من هاتفه الأحمر بمكاتب مدراء الإعلام، أما بشن الحروب، معلومة المظهر وخفية الأهداف، ضد من تراه السلطة غير طيع أو خارج عن ملة الإجماع وناشز، وهي ممارسات كانت تبرز برأسها كلما اشتد التوتر في أعلى هرم السلطة. كان مرور بلحيمر على هذا المؤسسة نفعياً بجدارة، فقد جعل منها إحدى أهم مؤسسات النشر في الجزائر، حيث أصدرت العديد من الأعمال في مختلف المجالات التاريخية والأدبية والسياسية وغيرها، وغدت من أقوى دور النشر، وغادرها وهي في قمة هذا النجاح، وبقي ينتقل بين مشاغل التدريس والبحث والكتابة، حتى

الإعلاميين المعربين خاصة أنه ذو تكوين فرانكوفوني بشهادة معقدة في الحقوق والآداب وأستاذ للتعليم العالي، وكاتب تخصص فيما نشر من كتب في الاقتصاد والقانون السياسي والاستثمار حيث أشرف على مخبر أبحاث لهذا الأخير.

نشط أثناء الثمانينات في المرحلة السرية للحزب الشيوعي المعروف اختصاراً بـ"الباكس" الذي كان يشرف عليه المناضل الراحل الهاشمي شريف قبل أن يسحبه من برائن الخفاء والنضالات المجهدة والأحلام الطوباوية الوزير الأسبق مولود حمروش أبو الإصلاحات والطامح الأيدي لمنصب رئيس الجمهورية المنتظر يوماً بإشارات عسكرية لذلك، رقة عصبية من الإعلاميين مثل القاضي إحسان وعابد شارف وعبدو بيه، وكلهم كانوا من أشد دعاة اليسار.

وعندما نقول اليسار الجزائري فهذا يعني في الدليل والعرف: المنفعة والانتفاع. كان همد حمروش خلق كتلة إعلامية صلبة مهمتها الأساسية الخفية هي ضرب غريمه الراحل قاصدي مرياح رئيس الحكومة آنذاك، ورسم صورة لهذا الأخير تشبه الغول الذي يريد أن يلتهم

كل الذي أمامه، تمهيدا لتولي حمروش رئاسة الحكومة في منعطف تاريخي رهيب هو الجزائر، جراء تصاعد العنف وتمدد أجنحة

الكل يقول إنه مالك للحق والحقيقة المطلقة الأبدية التي لا غبار عليها ولا كسوة. الجميع يتلاعب بالعقول البسيطة والنيات الحسنة والضمائر الأصيلية للإنسان المنهك بقل الحياة الصعبة التي يعيشها المعذمة والبسيطة في خلوطها ومالاتها.

بقيت السلطة تراقب وتهادن وتغض الطرف عما يفعل بالبراري العام من طرف وسائل الإعلام، بل ساهمت في تنفيهِ الأمور وتركها على حالها راحة لضميرها القلق والمضطرب والخائف من مصير الآتي العاصف الذي قد يحدث وقد حدث بالفعل عندما خرج الشارع عن الأطر وانتفض ضد الكل.

ليس الإعلام في الجزائر سوى واجهة لسلطة غامضة، منتفع ومرتبطة بالإشهار الذي تقطره هذه السلطة كيفما تريد وعلى من تريد... هكذا يوصف الإعلام عادة وهكذا وضع نفسه رهين مآل القرار ونخب المال والسياسة والعسكر، يرقص على دسوف الأمر والنهي والمصلحة والظرف.

تعددت الشخصيات التي مرت على الوزارة: التقليدي والغير والمتبجح والضعيف والسهل المتنع، هناك من جاء من ساحة الصحافة والكتابة، ومن جاء من عش الإدارة والبيروقراطية المتفحسية في الإعلام، هناك من نكس إعلام حرية في الإعلام، ومن أراد لها العلو والتحرر والانفلات من عقال الضغط والطاعة. بعضهم يعرف أين مكان الخلل وحاول أن يرمم ويصلح ويرتق، وهناك من تركها في غلال العمى والظلام. وفي كل الأحوال لم يقدر أحد على بناء صروح الرأي الحقيقي أو أن يسهم في التثوير وقيادة سفينة المجتمع المضطرب إلى بر الأمان والاستقرار، أو حتى معالجة أنواع الإعلام التي يعرفها أصحاب المهنة ولا يعرفون أسبابها.

ينحدر الوزير الحالي للإعلام عمار بلحيمر المولود بتاريخ 1955 من منطقة الشمال القسنطيني، وهي منطقة عرفت بإحكامها القبضة الحديدية على دهايلز الإعلام ودواليبه في الجزائر، وعلى القدرة الهائلة لإعلاميتها على الالتحام والتكفل فيما بينهما كانت الظروف والمحن، وعلى خفوتهم الصامت في إدارة المؤسسات الإعلامية عمومية وخاصة.

ربما كانت نقطة الاختلاف الوحيدة التي تميز بها الوزير عن غيره من هؤلاء

أيوبر زمال
كاتب جزائري

قبل دقائق من توليه منصب وزارة الاتصال والناطق الرسمي باسم الحكومة عطل عمار بلحيمر حسابه على موقع فيسبوك، في خطوة قد يجد لها المتتبع أعذاراً ومبررات عندما يتعلق الأمر ببعض المسؤولين الكبار الذين لا تدخل في مهماتهم مثل هذه الوسائل. ولكن أن يقوم بالأمر وزير يفترض فيه التواصل وهو مقبل، كما بشر في تصريحاته، على عمليات جراحية دقيقة تمس كل أنحاء جسد الإعلام وتطهره من الشوائب وتفتح ورشات لإصلاح قطاع مهلهل وضارب في تخمة البطالة والإعطاب فهذا ما لم يفهمه أحد.



الإعلام الجزائري في نظر الشعب، ليس سوى واجهة لسلطة غامضة، منتفع ومرتبطة بالإشهار الذي تقطره هذه السلطة كيفما تريد وعلى من تريد

فهل كان ذلك عن حسن نية كي لا ينشغل صاحب المعالي الجديد ويضيع وقته في عالم افتراضي كاسح متدفق بكل شيء زائف وحقيقي من هنا وهناك، أم أن الأمر لا يبدو كونه ناجماً عن أواخر علياً حفاظاً على الأمن العام وغير ذلك من الأسرار والخفايا.

وزارة برؤوس كثيرة

عظم الإعلام الجزائري في السنوات الأخيرة من شأن أمور قد تبدو للوهلة الأولى مهمة ومفيدة للصحة والبدن والعقل. واتضح في ما بعد أنها مساوئ وبلايا ومحن. وطلعت على السطح فوضى عارمة تزخر بمواقع ومنصات وجرائد ووسائل أخرى معلوم أصحابها ومسئورها وأخرى مجهولة المكان والهوية والنبرة. احتلت أسماء المشهد واحتكرت الصوت والصورة وسكنت العقول وتفسخت فيها، أسماء انتفضت وغدت كالفضر السام تبث الخرافة والوشاية، سلاحها التشهير والابتزاز والتحايل. أسماء أصبحت ملاجئ لتصفية الحسابات وتدمير العائلات وتحطيم مواثيق القيم والأخلاق حتى لم تعد تعرف هل هي من منافع هذا الوطن أم هي من أعدائه؟



تحرك الشارع يوم 22 من فبراير 2019 وحدث ما سمي بالرفض القاطع للعهدة الخامسة للرئيس بوتفليقة، ثورة بشر بها البعض ووقف ضدها البعض، وتابعتها البعض من صفحاتها الزرقاء وتفاعل معها مباشرة ونذيراً. منهم من فاعل ومنهم من أخذها على محمل الجد ونكرته بأيام الثورات اليسارية الطامحة لتغيرات جذرية في بنية النظام والسلطة والحكم